كليــة اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميــة

متشابــــه النـظـم فــي بيـــان
حقيقة الدنيـا وعـدم الاغتــرار بهـا

إعداد

د/ حصــة بنـت سعــود الهــزانـــي
أستاذ اللغة العربية المساعد
كلية التربية بالخرج جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز
المملكة العربية السعودية

(**العــدد الأربــعــون**)
(**إصـدار أكـتـوبـر ـ الـجـزء الثالث**)
(**١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م**)

متشابه النظم في بيان حقيقة الدنيا وعدم الاغترار بها

حصة بنت سعود الهزاني

قسم اللغة العربية، كلية التربية بالخرج، جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: h.alhazzani@psau.edu.sa

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تبيان مواضع الآيات المتشابهة في التحذير من الدنيا، وتدبر دلالات تلك الآيات في سياقها، وجاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين يعقبهما خاتمة، على النحو الآتي: المبحث الأول: متشابه النظم في الآيات الدالة على أن الدنيا متاع. المبحث الثاني: متشابه النظم في الآيات الدالة على أن الدنيا لعب ولهو. خاتمة، وتشمل على أبرز النتائج والتوصيات. وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي القائم على الاستقراء وتصنيف الآيات المتشابهات في التحذير من الدنيا والموازنة بين هذه الآيات من خلال السياق. وخرجت الدراسة ببعض النتائج من أهمها: ارتباط تركيب الآيات المتشابهة في التحذير من الدنيا وعدم الاغترار بها ارتباطًا وثيقًا بالسياق الذي وردت فيه، ووفرة استخدام أسلوب القصر في هذه الآيات؛ وذلك لما يتميز به أسلوب القصر؛ لاشتماله على النفي والإثبات، وذلك متوافق مع طبيعة الحديث عن الدنيا، وبيان حقيقتها. وأدعو في خاتمة البحث المختصين بالدراسات القرآنية إلى الالتفات إلى موضوع متشابه النظم؛ لأهميته، خاصة فيما يتعلق بالجانب التطبيقي منه، فهي الثمرة الحقيقة لورود الأساليب البلاغية المتعددة التي تتنوع وتتعدد باختلاف المقامات والغايات، وسيظل القرآن معجزًا، ولن نحيط بوجوه إعجازه.

الكلمات المفتاحية: متشابه النظم، بيان، حقيقة الدنيا، عدم الاغترار.

Title: Similar expressions of explaining the reality of the world and not being deceived by it.

Hessa bint Saud Al Hazani
Department of Arabic Language, College of Education in Al-Kharj, Prince Sattam bin Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia.

Email: *h.alhazzani@psau.edu.sa*

Abstract:

This research aims to explain the positions of similar verses which include warnings about the world, and carful analysis of the implications of those verses in their contexts. This research includes an introduction, a preface, and two topics, followed by a conclusion: The first topic: The similar expressions of the verses implying that the world is pleasure. The second topic: The similar expressions of the verses implying that the world is play and amusement. Conclusion, which includes the most important results and recommendations. In this research, I followed the descriptive approach based on induction and classification of verses that are similar in warnings about the world and the comparison of these verses through their context. The research came out with some results, the most important of which are: the link between the structure of similar verses in warnings against the world closely with the context in which they were mentioned, and the abundance of the use of the narrowing of meaning method in these verses, due to what narrowing of meaning method is characterized by; it includes negation and affirmation, and this is consistent with the nature of the discussion about the world, and the reality of its truth. In the conclusion of the research, I call attention to the specialists of Quranic studies to focus on the theme of similar expressions; Because of its importance, especially with regard to the practical aspect of it, it is the real fruit of the flowers of the multiple rhetorical methods that vary according to different situations and goals, and the Qur'an will remain a miracle, and we will not be able to cover all the aspects of its miraculousness.

Keywords: ***Similar Expressions - Reality - The reality of the world - Not being deceived.***

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:-

فإن من أعظم النعم التي أنعم الله بها علينا أن شرع لنا أفضل شرائع دينه، وبعث فينا أفضل رسله، وأنزل علينا أفضل كتبه، وإن من أجلّ البحوث قدرًا ومكانة ما كانت في خدمة كتابه العزيز، التي تسعى إلى إبراز بلاغة القرآن الكريم، وما تميز به نظمه وأسلوبه حتى بلغ حد الإعجاز.

وإن من جوانب إعجاز القرآن الكريم: المتشابه اللفظي في نظم القرآن الكريم، وما ينطوي عليه من فروقات واختلافات دقيقة، تتجلى من خلال السياق الذي وردت فيه الآيات المتشابهة، حيث وضعت كل لفظة في سياقها اللائق بها، فلا تأتي لفظة مكان أخرى.

وقد كان من أسباب اختياري لهذا الموضوع ما ينطوي عليه الموضوع من أهمية الوقوف على الآيات المتشابهات وعلاقتها بالسياق الذي ترد فيه وإبراز جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم في موضوع مرتبط بالحياة، وهو الآيات المتشابهة في التحذير من الدنيا، كما أن رغبتي الملحة في البحث في القرآن الكريم وتدبر هذا الجانب الإعجازي كانت دافعًا لي للبحث في هذا الموضوع.

والغاية من هذه الدراسة: هي تبيان مواضع الآيات المتشابهة في التحذير من الدنيا، وتدبر دلالات تلك الآيات في سياقها، والكشف عن أسرار استعمالها، وبيان الإعجاز القرآني بذكر المسائل البلاغية المتصلة بها.

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي القائم على الاستقراء لآيات الدراسة، وتحليلها تحليلًا بلاغيًّا، ببيان وجوه الاتفاق، ووجوه الاختلاف بين آيات الدراسة، من خلال اتباع الآتي:

١/ تصنيف الآيات المتشابهات في التحذير من الدنيا حسب مباحث البحث، وتناول هذه الآيات بالشرح والتحليل، وبيان ما فيها من فنون بلاغية.

٢/ الموازنة بين هذه الآيات المتشابهات واستعمالاتها من خلال السياق.

وتوجد في الساحة العلمية دراستان هما الأقرب لهذا الموضوع، أما الأولى فهي أطروحة دكتوراه بعنوان (المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية) للباحث الدكتور، صالح بن عبدالله الشثري، وقد جاءت أطروحته في ثلاثة أبواب يسبقها مقدمة وتمهيد، ويعقبها خاتمة، فيها أبرز النتائج التي توصل إليها، تحدث في الباب الأول عن تراث أهل العلم في توجيه المتشابه اللفظي، وفيه خمسة فصول استعرض فيها الكتب التي قامت عليها رسالته، معرفًا بالمؤلف وموضحًا مصادر كل كتاب وقضاياه، وفي الباب الثاني تناول الكلمة في المتشابه اللفظي، وجاء في خمسة فصول أيضًا: (الاختلاف بين الآيات المتشابهة في اختيار الصيغة، وفي الإفراد والجمع، والتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير، وفي الحروف، أما الباب الثالث فقد تناول فيه التراكيب في المتشابه اللفظي، وقد جاء هذا الباب في ثلاثة فصول: (الاختلاف في الآيات المتشابهة في الذكر والحذف وفي التقديم والتأخير وفي الفصل والوصل)، ومما سبق يتضح أن دراسة الباحث جاءت في عدد من الآيات المتشابهة ذات موضوعات مختلفة. أما الدراسة الثانية فهي كتاب بعنوان: (من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم) للدكتور محمد بن علي الصامل، وكان أصل الكتاب برنامجًا في إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية، ثم أعاد هذا البرنامج على هيئة بحث علمي اكتفى فيه بالحديث عن عشرة مواضع مرتبة وفق ترتيب السور، وبالرجوع لهذه المواضع وجدتها كلها في سورة البقرة وما يشبهها في السور الأخرى، وتوجد دراسة أخرى للدكتور فاضل السامرائي، بعنوان: (دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل)، وهذه الدراسة خاصة بدراسة كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، كما يوجد كتاب حول هذا الموضوع إلا أنه يعنى بالوقوف على الآيات

المتشابهة وتبيان مواضعها دون ذكر الأسرار البلاغية في تلك الآيات، وهو كتاب: دليل الآيات متشابهة الألفاظ في كتاب الله العزيز للدكتور سراج صالح ملائكة، أما هذه الدراسة فإنها تختلف عن الدراسات السابقة في كونها تتناول موضوعًا محددًا، وهو: التحذير من الدنيا من جهة متشابه النظم في آيات التحذير من الدنيا، والوقوف على تلك الآيات بالبحث والدراسة.

وجاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين يعقبهما خاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة، وفيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته والمنهج المتبع في هذا البحث والدراسات السابقة لهذا الموضوع.

التمهيد: ويتناول:

أولاً: متشابه النظم: تعريفه وأهميته.

ثانيًا: أهمية السياق في انتقاء الألفاظ وتحقيق الغرض.

ثالثًا: المؤلفات في متشابه النظم

رابعًا: آيات متشابه النظم في بيان حقيقة الدنيا.

المبحث الأول: متشابه النظم في الآيات الدالة على أن الدنيا متاع.

المبحث الثاني: متشابه النظم في الآيات الدالة على أن الدنيا لعب ولهو.

خاتمة، وتشمل على أبرز النتائج والتوصيات.

ثبت المصادر والمراجع.

وأرجو من الله أن يكون هذا البحث قد حقق الهدف منه في الكشف عن الأسرار البلاغية في المتشابه اللفظي في آيات التحذير من الدنيا، وأسأل الله أن يكون علمًا نافعًا وأن يتجاوز عن الخطأ والنسيان وزلات الأقلام.

تمهيد

جاء القرآن الكريم معجزًا للعرب، وتحداهم بأن يأتوا بمثل أقصر سورة منه، فبان عجزهم، واتضح للعيان عدم قدرتهم، وقد ذكر علماء الأمة وجوهًا كثيرة لإعجاز القرآن الكريم، (السيوطي،١٤١٥، ص ٢٥٦)، ومنها: التشابه في ألفاظه ومعانيه إلى حد يصل التطابق أحيانًا أو الاختلاف أحيانًا بالذكر والحذف أو التقديم والتأخير وبغيره من الأساليب البلاغية، وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، الواجب علينا نحن الباحثين الوقوف معه، وتأمل أسراره، وبيان حكمه وغاياته، وقد نال هذا الجانب اهتمام العلماء قديمًا وحديثًا، وقبل البدء ببيان حكم متشابه نظم هذه الآيات هذا الموضوع، يجدر بي الحديث عن معنى التشابه، وأثر السياق في تحديد دلالات المتشابهات، بعد حصر آيات الدراسة وذكرها.

أولًا: متشابه النظم: تعريفه وأهميته:

ورد المعنى اللغوي للمتشابه في المعاجم العربية، قال أحمد بن فارس:" الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونًا ووصفًا " (ابن فارس،١٣٩٩، ٣/ ٢٤٣)، وجاء في لسان العرب: " الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبيهُ: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيءُ الشيءَ: ماثله " (ابن منظور،١٤١٩، ٧/ ٢٣)، وذكر الفيروزآبادي "الشّبْهُ، بالكسر والتحريك وكأميرٍ: المِثْلُ... وتشابها واشتبها: أشبه كل منهما الآخر" (الفيروزآادي،١٤٢٩، ص ٨٣٦)

ومن هذه المعاني اللغوية يتبين المعنى الاصطلاحي، فقد عرفه الزركشي بقوله: "هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب؛ ليعلمه عجزهم عن جميع طرق ذلك" (الزركشي،١٤١٩، ص ١١١)، وذكر الكرماني في كتابه البرهان في توجيه متشابه القرآن: " فإن هذا الكتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن، وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان،

أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبين السبب في تكرارها"(الكرماني،١٤٠٦، ص ٢٢).

فالمقصود بالمتشابه هنا: المتشابه اللفظي الذي يعني المماثلة في النظم مع اختلاف التركيب من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير، وغير ذلك مما يظهر جانبًا من جوانب إعجاز القرآن الكريم وبلاغته.

ثانيا: **أهمية السياق في انتقاء الألفاظ وتحقيق الغرض**:

يعد السياق عنصرًا مهمًّا في تحديد دلالة المفردة؛ ذلك أن معظم مفردات اللغة تدل على أكثر من معنى، ويتحدد معناها من خلال السياق الذي وردت فيه، فالسياق هو الصورة الكلية التي تنتظم فيه الصورة الجزئية، ولا يفهم كل جزء إلا بحسب موقعه من الكل، فمعظم الكلمات تقع مجاورة لكلمات أخرى لا يمكن تحديدها إلا بملاحظة الكلمات الأخرى التي تقع مجاورة لها (مختار، ١٤١٨، ص٦٤)، فالكلمة ترتبط من خلال السياق الذي ترد فيه بوشائج قوية بما قبلها وما بعدها من كلمات، وهو يشمل كل ما يصاحب اللفظ من ألفاظ تساعد على توضيح المعنى، سواء أتقدمت تلك الألفاظ على اللفظ أم تأخرت عنه (الصالح،١٤٢٦، ص١٠٣).

وقد اهتم علماء الأمة بالسياق اهتمامًا كبيرًا، وأولوه عناية فائقة من أجل تحديد دلالات مفردات القرآن الكريم، فالسياق من أهم القرائن التي تدل على المراد وإثبات المعنى دون غيره.

ومن المفسرين الذين اعتنوا بالسياق الزمخشري في تفسيره (الكشاف) صرّح بذلك الزركشي فقال: " ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز؛ ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمدًا، حتى كأنه غير مطروح"(الزركشي،١٤١٩، ١/

٣١٧)، وكذلك ابن عطية اهتم بالسياق في (المحرر الوجيز)، فقد أشار في تقديمه لهذا التفسير إلى وجه من وجوه الإعجاز، وهو النظم، فقال:" إن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحاط بالكلام كله علمًا، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره " (ابن عطية،١٤٢٣، ص ٢٨).

ثالثاً: أشهر المصنفات في المتشابه اللفظي:

اهتم علماء الأمة بالمتشابه اللفظي في القرآن الكريم، فصنفت فيه المؤلفات، واختلف في بداية ظهور هذا المصطلح، فمنهم من ينسب بدايته إلى مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) في كتابه الوجوه والنظائر(ينظر: ياسين،١٤٢٦، ص٥٢)، وقد يكون تناوله للآيات المتشابهات في ثنايا كتابه، ويرى السيوطي أن أول من أفرده بالتصنيف الكسائي (١٨٩هـ) في كتابه (متشابه القرآن)، ولم يكن في كتابه هذا معنيًّا بالتشابه عناية الذين تناولوه بكتبهم، وكان أقرب إلى فحص التماثل النصي بين الآيات، ويعده بعض الباحثين من أوائل المحاولات المعجمية لفهرسة القرآن الكريم، وقد نظمه أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (ت:٦٤٣هـ) في كتابه: (هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب) في أرجوزة بلغت واحدًا وثلاثين وأربعمائة بيتًا، حصر فيها الكلمات المتشابهه ورتبها على حروف المعجم، وتعد منظومته أول منظومة في هذا الباب (ينظر:السيوطي،١٤١٥، ص ٢٤٨).

ومن المصنفات في المتشابه اللفظي، كتاب: (درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز) لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي (ت ٤٣١هـ)، وهو يعد من أوسع ما كتب عن المتشابه اللفظي؛ إذ لم يقتصر على عرض المتشابه اللفظي، بل سعى إلى توجيه المتشابه، والحكمة منه، وبيان بعض أسبابه (ينظر: السيوطي، ١٤١٥، ص١٩).

وكذلك من المصنفات في المتشابه كتاب (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل) لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الغرناطي، وقد تبلور هذا العلم عنده، واستقر، فأثبته في عنوانه (ينظر: ياسين،١٤٢٦، ص٥٧)، ويرى الدكتور محمد الصامل أن هذا الكتاب هو أوسع وأشمل وأفضل ما ألف في المتشابه، وأنه واسطة العقد من مؤلفات المتشابه اللفظي (ينظر: الصامل،١٤٢٢، ص٢٤).

ومن المؤلفات في العصر الحديث كتاب(من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم) للدكتور محمد بن علي الصامل، تناول فيه بعض الآيات المتشابهة في عشرة مواضع مرتبة حسب ترتيب المصحف، وكتاب (دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل)، وقف فيه المؤلف على دراسة كتاب ملاك التأويل للغرناطي، ومن المؤلفات الحديثة أيضًا كتاب (المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم) للدكتور عبدالمجيد ياسين المجيد، تناول فيه بعض الآيات المتشابهات في وجه واحد من وجوه التشابه، من حيث التشابه في الحروف أو في الأسماء أو في الأفعال أو في التقديم والتأخير.

إضافة إلى بعض المؤلفات في الإعجاز البلاغي التي تناولته ضمن الفصول والمباحث، مثل كتاب (التعبير القرآني) للدكتور فاضل السامرائي، و(من الإعجاز اللغوي في القرآن) للدكتور مصطفى شعبان، والدكتور عبده الراجحي، وغيرها من المؤلفات.

رابعاً: آيات متشابه النظم في بيان حقيقة الدنيا:

وفيما يأتي بيان لآيات الدراسة، وحصر لها، رأيت من الأنسب ذكرها في التمهيد؛ ليكون القارئ على بينة منها، وليأخذ تصورًا كاملًا متكاملًا عن آيات الدراسة، قبل البدء ببيان وجوه التشابه، ووجوه الاختلاف بينها، في ذكر مضمونها، وبيان معانيها.

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾[آل عمران:١٤]

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾[آل عمران:١٨٥]

قال تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾[آل عمران:١٩٧]

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء: ٧٧]

قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنعام: ٣٢]

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾[الأعراف:٥١]

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾[التوبة:٣٨]

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[يونس:٢٣]

قال تعالى: ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾[يونس: ٧٠]

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ٢٦﴾[الرعد: ٢٦]

قال تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾[النحل: ١١٧]

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾[القصص: ٦٠]

قال تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١﴾[القصص: ٦١]

قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾[العنكبوت: ٦٤]

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾[لقمان: ٣٣]

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾[فاطر: ٥]

قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩﴾[غافر: ٣٩]

قال تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾[الشورى: ٣٦]

قال تعالى: ﴿وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥﴾[الزُّخرُف:٣٥]

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦﴾[محمد:٣٦]

قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾[الحديد:٢٠]

****

المبحث الأول

متشابه النظم في الآيات الدالة

على أن الدنيا متاع

ورد في عدة مواضع من القرآن الكريم أن الدنيا متاع، وذلك في سياق التحذير منها وعدم الاغترار بها، والمتاع "ما يتمتع به وينقضي " (ابن عاشور، د.ت ١٣/ ١٣٥) جاء في مقاييس اللغة:" (متع) الميم والتاء والعين أصل واحد يدل على منفعة وامتداد مدة في خير، منه: استمتعتُ بالشيء، والمتعة والمتاع: المنفعة في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ﴾[النور:٢٩]، ومتعت المطلقة بالشيء؛ لأنها تنتفع به، ويقال: أمتعتُ بمالي، بمعنى تمتعتُ به". (ابن فارس،١٣٩٩، ٢٩٣/٥).

والأصل في (متع) إما أن يكون: التلذذ العاجل، أو يكون الأصل فيه: الامتداد والارتفاع

وجاء في بصائر ذوي التمييز: " متع النهار يمتع – كمنع يمنع – متوعًا: ارتفع، والماتع: الطويل من كل شيء، وحبل ماتع: جيد الفتل، ونبيذ ماتع: شديد الحمرة، وكل شيء جيد فهو ماتع، والمتاع: السلعة، والمتاع: المنفعة، وما تمتعت به " (الفيروزآبادي، د. ت ٧٤٤/٤).

ويتضح مما سبق أن المتاع هو: لذة ومنفعة مع امتداد زمن.

وقد ورد لفظ المتاع في القرآن الكريم بمختلف الصيغ في سبعين موضعًا، يختلف معناه باختلاف السياق الذي ورد فيه، حيث جاء هذا اللفظ في القرآن الكريم على عدة وجوه ذكرها الدامغاني بقوله: " تفسير المتاع على أربعة أوجه: البلاغ – المنافع – متعة الطلاق – المعدن" (الدامغاني،١٤٢٤، ص ٤٢٢)، وقد جاء هذا اللفظ في سياق التحذير من الدنيا في خمسة عشر موضعًا، وجاءت الآيات المتشابهة منها كالآتي:

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤]

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾[آل عمران:١٨٥]

قال تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾[آل عمران:١٩٧]

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾[النساء:٧٧]

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾[التوبة:٣٨]

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[يونس:٢٣]

قال تعالى: ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾[يونس:٧٠]

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾[الرعد:٢٦]

قال تعالى: ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾[النحل:١١٧]

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾[القصص:٦٠]

قال تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٦١﴾[القصص:٦١]

قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩﴾[غافر:٣٩]

قال تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾[الشورى:٣٦]

قال تعالى: ﴿وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥﴾[الزُّخرُف:٣٥]

قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾[الحديد:٢٠]

وبتأمل هذه الآيات نجد أنها يمكن تصنيفها في مجموعات حسب التشابه بينها، وسأسعى جاهدة في هذا المبحث إلى بيان الأسرار البلاغية في ضوء متشابه النظم لهذه الآيات، بعد حصرها، وتصنيفها إلى موضوعات متعددة بناء على مضمونها، وذكر ما جاء فيها من توافق واختلاف، وفق الآتي:

المطلب الأول: الحياة متاع الغرور

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥]

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الرعد: ٢٦]

قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠]

جاء التحذير من الدنيا بوصفها متاع الغرور، ويلحظ تطابق التركيب في قوله تعالى: (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) في سورة آل عمران وسورة الحديد، مع اختلاف يسير في سورة الرعد (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع)، ولا شك أن وراء ذلك سرًا بلاغيًا يكشفه السياق، ففي سورة آل عمران قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥] **جاءت الآية في سياق الرد على اليهود المفترين** ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[آل عمران: ١٨١]، **وأخبر عن جراءتهم على ربهم، وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم** ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾[آل عمران: ١٨٤]، **فجاء التحذير من الدنيا بأسلوب القصر بطريقة النفي والاستثناء، وهذا الأسلوب يلائم سياق الشك والإنكار الصادر من اليهود، فالقصر بالنفي والاستثناء " يكون لأمر ينكره المخاطب و يشك فيه "(الجرجاني، ١٤٢٤، ص ٣٣٢).**

وفي سورة الحديد قال الله تعالى : ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ

فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾[الحديد:٢٠] جاء التحذير من الدنيا بالأسلوب نفسه، فقال الله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد:٢٠] ؛ لأن الآية جاءت في سياق الحديث عن المكذبين المنكرين، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾ [الحديد:١٩]، فجاء التحذير من الدنيا بطريق النفي والاستثناء في هاتين الآيتين مرتبطًا بالسياق، يقول محمد أبو موسى عن القصر بالنفي والاستثناء: " ولا تلقاك هذه الأداة إلا حيث تلقك النبرة العالية والنغمة الحاسمة والتعبير الشديد " (أبو موسى،١٤٣٥،ص ١٣٠) فجاء التعبير وفق حال المخاطب المنكر الشاك.

أما في سورة الرعد فقد قال تعالى:﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ [الرعد: ٢٦] ، فجاء القصر بـ(إنما)، ومقام (إنما) أنها تجيء " لخبر لا يجهله المخاطب أو لا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة " (الجرجاني، ١٤٢٤، ص ٣٣٠)، فالمخاطبون في هذه الآية لا ينكرون ولا يجهلون هذه الحقيقة للدنيا والأوصاف التي وصفت بها، بأنها لعب ولهو وزينة و تفاخر وتكاثر، ولكن لانشغالهم بالدنيا نزلوا منزلة المنكرين لهذه الحقيقة، فكان هذا الأسلوب تنبيهًا لهم، كما أن القصر بـ (إنما) يحمل دلالة التعريض، يقول الجرجاني: " ثم اعلم أنك إذا استقريت، وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن لتعريض بأمر هو مقتضاه، نحو أنّا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾[الرعد:١٩] أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يُذم الكفار، وأن يقال: إنهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عمل" (الجرجاني،١٤٢٤، ص ٣٥٤)، فقوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ

ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾[الحديد:٢٠] تعريض بهم، فالحرص على استبقاء المال والاستمتاع بالدنيا ينم عن جهلهم ـ والله أعلم.

وقد جاء التركيب في سورة الرعد: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ مختلفًا عن الآيتين السابقتين في سورتي آل عمران والحديد ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ ؛ حيث ذكر (الآخرة)، ولم يضف (المتاع) إلى (الغرور) كما جاء في سورتي آل عمران والحديد؛ ولعل ذلك مرتبط بالسياق الذي جاء فيه، وللغرض المسوق له، حيث جاءت الآية في سياق الحديث عن الرزق وما يعقبه من عاقبة المؤمن وعاقبة الكافر، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يوسع الرزق ويضيقه حسبما تقتضيه حكمته، فبسط الرزق وتضييقه ليس دليلًا على إهانة أو كرامة، فبسط الرزق قد يكون إملاء واستدراجا، ففرح هؤلاء الكفار بما نالوا من الحياة الدنيا قد يكون إمهالًا لهم؛ لذلك حقر الدنيا بالنسبة لما يناله المؤمنون في الآخرة (ينظر: أبو السعود، ١٤١٤، ١٩/٥)، وفي هذه الآيات الثلاث قصر، حيث قصر كل ما في الحياة الدنيا على أنه متاع " ومتاع الحياة الدنيا ما يستمتع بها منها "، (القرطبي، ١٤٢٥، ٢٠٦/٢)، و قوله تعالى (متاع الحياة) أي منفعتها التي لا تدوم "، (الفيروزآبادي،د.ت، ٤ / ٤٧٧) ، فقد جاء القصر هنا قصر موصوف على صفة، فالاختصاص هنا جاء في الخبر (متاع).

ويلحظ أن القصر في هذه الآيات الثلاث جاء بأسلوب النفي والاستثناء ملائمًا لحال المخاطب المنكر ومرتبطًا بالسياق الذي وردت فيه هذه الآيات.

المطلب الثاني: المتاع قليل

سبق الحديث عن معنى المتاع في المبحث السابق، وقد جاء موصوفًا بالقلة في عدد من الآيات الكريمة على النحو الآتي:

قال تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾[آل عمران:١٩٧]

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾[النساء:٧٧]

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾[التوبة:٣٨]

قال تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[النحل:١١٧]

القليل خلاف الكثير، " والقلة والكثرة يستعملان في الأعداد، كما أن العظم والصغر يستعملان في الأجسام، ثم يستعار كل واحد من الكثرة والعظم، ومن القلة والصغر للآخر " (الأصفهاني،١٤٢٥ ص ٤٩٠).

وقد يراد بالقليل العرض الدنيوي، كقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[البقرة:٤١]، وقوله تعالى:﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾. (ينظر:الأصفهاني، ١٤٢٥، ص ٤٩٠).

وقد ورد وصف الدنيا بأنها متاع قليل؛ للتحذير منها، وللتنبيه بأنها عرض دنيوي زائل في عدد من الآيات، منها:

قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾[آل عمران:١٩٧]

وقوله تعالى : ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[النحل:١١٧]

فقد جاء (متاع قليل) في الآيتين جملة اسمية، في الأولى جاء العطف عليها بـ (ثم)، وأما الثانية فجاء العطف عليها بحرف الواو، ولو تأملنا السياق نجد أن الأولى جاءت في سياق الحديث عما أوتي الكفار من حظوظ الدنيا، وحقارة شأنها إثر بيان ما أوتي المؤمنون من الثواب، فهو متاع قليل لا قدر له

في جنب الآخرة.(ينظر: أبو السعود، ٢، ١٤١٤/ ١٣٥)، فكان العطف بـ (ثم) الدالة على الترتيب مع التراخي في الزمان، أما في سورة النحل فقد جاءت في سياق الحديث عن افتراء الكفار الكذب: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦﴾[النحل:١١٦] (ينظر: الطبري، د. ت، ص٥٦٦).

أما قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾[النساء:٧٧]

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾[التوبة:٣٨] فقد اختلف المفسرون في سورة النساء فيمن نزلت هذه الآية، فمنهم من ذكر أنها نزلت في فريق من المؤمنين كانوا يرغبون في قتال المشركين، ومنهم من ذكر أنها نزلت في المنافقين، وقد رجّح الرازي أن تكون هذه الآية صفة للمنافقين، واستدل على ذلك بسياق الآية نفسها، فقوله تعالى: ﴿يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ﴾ وصف لا يليق بالمؤمن؛ لأن المؤمن لا يكون خوفه من الناس أشد من خشية الله، كما أن الآية التي تليها: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾[النساء:٧٨] تشير إلى أن هذا من كلام المنافقين، (ينظر: الرازي، ١٤٢٥، ١٤٧/٧)، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ أمر موجه للرسول صلى الله عليه وسلم، حيث أُمر بإجابتهم على قولهم: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ﴾، وهذا

استفهام تعجبي، والفصل بين الجملتين لشبه كمال الاتصال، حيث جاءت الثانية ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ جوابًا لسؤال مقدر يفهم من الأولى ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾، فلما عجب عليه الصلاة والسلام منهم إنكارًا عليهم كان كأنه قال: فماذا أقول لهم ؟ أمر بوعظهم وتضليل عقولهم بقوله: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى ما جاء في القرآن الكريم من لفظ (قال) مفصولًا غير معطوف فقال: " جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال، فلما كان العرب والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: دخل قوم على فلان فقالوا: كذا، أن يقولوا: فما قال هو؟ يقول المجيب: قال كذا، أخرج الكلام ذلك المخرج لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه، وسلك باللفظ معهم المسلك الذي يسلكونه " (الجرجاني،١٤٢٤، ص٢٤٠)، وجاءت فاصلة الآية ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ مؤكدة لمعنى ما قبلها: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأٓخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾[التوبة:٣٨] فقد جاءت في سياق الحديث عن غزوة تبوك ومن تخلّف عنها، وابتدأت بأسلوب إنشائي، نداء للمؤمنين في مقام التوبيخ" (القرطبي، ١٤٢٤ ٢/٣٥٠)، وقوله:﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأٓخِرَةِ ۚ ﴾ جاءت همزة الاستفهام للتوبيخ، "أي: أرضيتم بنعيم الدنيا بدلًا من نعيم الآخرة" (القرطبي،١٤٤٢، ٢/٣٥٠)، فجاء التحذير من الدنيا بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء؛ ليلائم سياق الآية، فمقام الآية عتاب وتوبيخ لمن تخلف عن غزوة تبوك، وهؤلاء المتخلفون لا ينكرون حقيقة الدنيا وأنها متاع، لكن تخلفهم عن هذه الغزوة نزلهم منزلة المنكر، فناسب القصر بهذه الطريقة: (النفي والاستثناء)، يقول الجرجاني في ذلك: " وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو (ماهذا

إلا كذا) و(إن هو إلا كذا) فيكون لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه " (الجرجاني، ١٤٢٤،ص ٣٣٢).

المطلب الثالث: مآل المتاع

كما يظهر التشابه بين الآيتين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾[يونس:٢٣]

وقوله تعالى: ﴿مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾ [يونس:٧٠]

ففي الأولى ﴿متَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ﴾[يونس:٢٣]، وفي الثانية ﴿مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾[يونس:٧٠]، والاختلاف بينهما بالذكر والحذف والضمير، في الأولى ذكرت الحياة، وجاء الضمير للمخاطبين، والثانية لم تذكر الحياة، وجاء حرف الجر (في)، والضمير للغائبين، وبتأمل السياق نلحظ أن الأولى جاءت في سياق خطاب المشركين وبغيهم بعد أن أنجاهم الله (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم)، وتوجيه الخطاب إلى الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد، فقصر البغي على أنفسهم"، أي: عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم"، (أبو السعود، ١٤١٤، ١٣٥/٤)، وقوله: (متاع الحياة الدنيا) فيها قراءتان، الأولى: بالرفع، على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هو متاع الحياة الدنيا) والثانية بالنصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر، أي: تتمتعون متاع الحياة الدنيا، وبعضهم أعربه مفعولًا لأجله على أن يتعلق الجار (على أنفسكم) بالمصدر (بغيكم)، أي: بغيكم على أنفسكم من أجل متاع الدنيا مذموم.(ينظر: الصافي، ١٤٢٨ص١٠٩٧)، يقول الطاهر بن عاشور: " والمعنى على كلتا القراءتين واحد، أي: أمهلناكم على إشراككم مدة الحياة لا غير ثم

نؤاخذكم على بغيكم عند مرجعكم إلينا". (ابن عاشور، د.ت ١١/ ١٤٠)، وفي قوله: (إنما بغيكم على أنفسكم) مجاز مرسل، معناه: " إنما بغيكم وبال على أنفسكم؛ لأن البغي لا يقع على الأنفس، إنما هو الوبال، ولما كان البغي هو سببه ذكره على طريق المجاز المرسل، والعلاقة السببية ". (الصافي،١٤٢٨، ص١٠٩٨)، وقوله: (ثم إلينا مرجعكم) جاء العطف بـ(ثم)؛ لإفادة التراخي والترتيب في الزمان، كأنه قيل: تتمتعون في الدنيا، ثم ترجعون إلينا، وهذا أصرح في التهديد، والتقديم لإفادة الاختصاص (ينظر:تفسير أبو السعود، ١٤١٤، ١٣٦/٤).

أما قوله تعالى في السورة نفسها الآية ٧٠: (متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم) فقد جاءت في سياق الذين افتروا على الله الكذب، والآية استئناف بياني لبيان أن ما يتراءى في المفترين على الله الكذب من حظوظ دنيوية ليست من الفلاح، بل هي متاع دنيوي قليل، وتنكير (متاع) للتقليل، وتقييده بأنه في الدنيا مؤكد للزوال والتقليل (ينظر: ابن عاشور،د.ت، ١١ / ٢٣٣)، و(متاع) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: حياتهم أو افتراؤهم متاع، وهذا تأكيد على سرعة الزوال، وقيل: إن (متاع) مبتدأ والخبر تقديره (لهم)، أي: لهم متاع، وهذا تحذير وتهديد لهم، وقوله: (ثم إلينا مرجعهم) العطف بـ(ثم) للدلالة على الترتيب والتراخي في الزمان؛ لأن مضمونه هو محقة أنهم لا يفلحون. (ينظر: أبو السعود،١٤١٤، ٤/ ١٦٣ وابن عاشور، د.ت ١١/ ٢٣٣).

المطلب الرابع/ متاع الحياة الدنيا

أما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾ [القصص:٦٠]

وقوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾[الشورى:٣٦] فبتأمل هاتين الآيتين، يلحظ أن

الأولى جاءت بالواو والثانية بالفاء، والأولى ذكرت فيها الزينة، والثانية لم تذكر فيها، وبتأمل السياق نجد أن الأولى جاءت في سياق الرد على عذر أهل مكة عن الإيمان بأنهم يخشون من إيذاء ومحاربة أحياء العرب لهم، فكان الرد عليهم بأن الله مكّن لهم حرمًا آمنًا في حال كفرهم، فكيف لا يكون آمنًا لهم في حال إسلامهم؟ وأن هذا الحرم الآمن يجبى له ثمرات كل شيء، وأن كل هذه النعم متاع الحياة الدنيا، فناسب العطف بحرف (الواو) يقول الإسكافي: " فلم يكن لعطف هذه الجملة على الجملة المتقدمة غير الواو؛ إذ لا معنى هاهنا من معاني الفاء، وأما ذكر (زينتها) فلاستيعاب جميع ما بسط فيه الرزق للكفار". (الإسكافي،١٤٢٢، ص٢٣٧)، فذكر الزينة في هذه الآية جاء مناسبًا للسياق في استيعاب جميع النعم، حيث ذكر سبحانه في الآية التي قبلها (ثمرات كل شيء).

أما الآية الثانية فقد جاءت في سياق الحديث عن قدرة الله سبحانه وتعالى في إنجاء أو إهلاك أهل السفينة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾[الشورى:٣٢-٣٥] ، فناسب حرف العطف (الفاء) سياق الآية؛ لأنه لم يقصد بها الاستيعاب كالآية السابقة، بل المقصود مطلوبهم في تلك الحالة، وهو النجاة (ينظر: الإسكافي،١٤٢٢ ص٢٣٧، والكرماني، ١٤٠٦، ص ١٤٦)، جاء في درة التنزيل وغرة التأويل: " فقال: وإن أوتيتم السلامة، ورزقتم بعدها العافية، فذلك قليل البقاء، وإن امتد أيامًا، فليس القصد في هذا المكان استيعاب جميع ما يتوهم في دنياهم، بل هو مطلوبهم في تلك الحال من النجاة والأمن في الحياة، فلم يحتج إلى ذكر الزينة ولم يكن إلا موضع الفاء " (الإسكافي،١٤٢٢، ص ٢٣٧).، فالفاء دالة على التعقيب، فما أوتوا من النجاة والسلامة عقب ما نالهم من الخوف والوجل ما هو إلا متاع قليل.

المبحث الثاني

متشابه النظم

في الآيات الدالة على أن الدنيا لعب ولهو وغرور

المطلب الأول: الدنيا لعب ولهو

جاء التحذير من الدنيا بوصفها لعبًا ولهوًا في عدة مواضع من القرآن الكريم كما سيأتي بيانه، واللعب: طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به، وقيل: العبث، واللعب: ترك ما ينفع بما لا ينفع (ينظر: الكفوي،١٤٣٢، ص ٦٧٤).

أما اللهو، فهو " ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه، يقال: لهوت بكذا ولهيت عن كذا، اشتغلت عنه بلهو ". (الأصفهاني، ١٤٢٥، ص٥١٠)، وكل باطل ألهى عن الخير وعما يعني، فهو لهو (ينظر: الكفوي،١٤٣٢، ص ٦٥٧)، وذكر الدامغاني أن اللهو جاء على ستة وجوه: (السخرية والاستهزاء، الولد، صوت الطبل، الشغل، الباطل، الغناء). (ينظر: الدامغاني،١٤٢٤،ص ٤٠٦).

وقد جاء (اللهو) في عشرة مواضع في القرآن الكريم على هذه الوجوه، فجاء بمعنى السخرية والاستهزاء في قوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الأنعام:٧٠] وجاءت بمعنى الولد في قوله تعالى: ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧﴾[الأنبياء:١٧]، وجاءت بمعنى صوت الطبل في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ﴾ [الجمعة:١١]، وجاءت بمعنى الشغل في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾[المنافقون: ٩]، وجاءت بمعنى الباطل في قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ﴾ [الحديد: ٢٠]، وجاءت بمعنى الغناء في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [لقمان:٦].

وقد ورد هذين اللفظين في القرآن الكريم في سياق التحذير من الدنيا، في قوله تعالى:

١/ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنعام:٣٢]

٢/ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾[الأعراف:٥١]

٣/﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[العنكبوت: ٦٤]

٤/﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾[محمد:٣٦]

٥/ ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[الحديد:٢٠].

بتأمل هذه الآيات الكريمة نلحظ أنه في سورتي الأعراف والعنكبوت قدم اللهو على اللعب، أما في سورة الأنعام ومحمد والحديد فقدم اللعب على اللهو، ولا شك أن هذا الاختلاف في التركيب جاء من السياق الذي وردت فيه هذه الآيات، ففي سورة الأنعام: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الأنعام:٣٢] جاءت هذه الآية في سياق الرد على المكذبين بالبعث: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام:٢٩]، وخسارتهم يوم القيامة: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾[الأنعام:٣١]، وتقديم اللعب على اللهو في هذه الآية ناسب سياق تفريطهم في

الدنيا وقلة عقولهم، فاللعب "عمل أو قول في خفة وسرعة وطيش ليس له غاية مفيدة، بل غايته إراحة البال وتقصير الوقت واستجلاب العقول في حالة ضعفها كعقل الصغير وعقل المتعب".(ابن عاشور، د. ت، ٧ / ١٩٣)، أما اللهو فهو ما يشغل الإنسان عما يعينه ويهمه، يقال: لهوت بكذا ولهيت عن كذا، اشتغلت عنه بلهو". (الأصفهاني،١٤٢٥، ص ٥١٠)، واللعب زمانه الصبا، واللهو زمانه الشباب، (ينظر: الكرماني،١٤٠٦، ص٦٢)، وقد أفادت صيغة (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) القصر، حيث قصر موصوف (الحياة الدنيا)على صفة (اللعب و اللهو) وقد يكون الغرض من هذه الصيغة التأكيد على قصر مدة الدنيا، وأن كل ما فيها لا عاقبة له فهو بمنزلة اللعب واللهو الذي لا ينتفع به، وفيه أيضًا مبالغة حيث جعل الدنيا نفسها لعبًا ولهوًا. (ينظر: أبو السعود،١٤١٤، ٣/ ١٢٦)، وقد عطف جملة (وللدار الآخرة خير للذين يتقون) بحرف العطف الواو للوصل بين الجملتين لارتباطهما في المعنى، فكون الحياة دنيا زائلة يحقق أن تكون الآخرة خير للمتقين، وختمت الآية بقوله تعالى: (أفلا تعقلون) استفهام توبيخي، ولم تختم بقوله: (أفلا تتقون، أفلا تتذكرون، أفلا تعلمون)؛ لأن المقام هنا فيه إشارة إلى قلة عقولهم وتفريطهم في دنياهم، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾[محمد:٣٦] فقد جاءت في سياق تحذير المؤمنين من أن يحملهم حب العيش على الضعف في مقابلة العدو ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾[محمد:٣٥]، ففي الآية تحقير لأمر الدنيا وتهوين لشأنها، وتقديم اللعب على اللهو؛ لأن اللعب أسبق في الوجود الدنيوي من اللهو. (ينظر: الغرناطي،١٤٠٣، ص ٤٤٥)؛ فاللعب " عمل أو قول في خفة وسرعة وطيش، ليست له غاية مفيدة، بل غايته إراحة البال وضد اللعب الجد، واللهو ما يشتغل به الإنسان مما ترتاح إليه نفسه، ولا يتعب في الأشتغال به عقله ".(ابن

عاشور، د. ت ٧/ ١٩٣)، يقول الكرماني: "وإنما قدم اللعب في الأكثر؛ لأن اللعب زمانه الصبا، واللهو زمانه الشباب، وزمان الصبا مقدم على زمان الشباب". (الكرماني،١٤٠٦، ص ٦٢).

وقد جاء القصر بـ(إنما)، وقصر الحياة الدنيا على اللعب واللهو للإشارة إلى عدم ترتب فائدة على الحياة؛ لأنها فانية منقضية، والآخرة هي دار القرار، والمخاطب لا يجهل حقيقة ذلك، لكن لما قد يظهر على بعض المؤمنين من ضعف في مقابلة الأعداء نزلوا منزلة من يجهل ذلك، فناسب المقام القصر بـ (إنما).

أما في قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾[الحديد:٢٠] فقد جاءت أيضًا في سياق تحقير الدنيا بعد الحديث عن حال الفريقين يوم القيامة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾[الحديد:١٩]، فالدنيا سريعة زائلة، وكل ما فيها متاع قليل، وقد جاء ترتيب هذه الألفاظ (لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد) ملائمًا لبيان أحوال الدنيا، فاللعب في الصبا، واللهو في الشباب، ثم الزينة والاهتمام بتحسين الذات أو المكان، ثم التفاخر والتباهي الذي غالبًا ما يكون في سن الكهولة واكتمال الأشد، (ينظر: ابن عاشور، د. ت ٢٧ / ٤٢)، ولاشتمال هذه الآية على جميع أطوار الإنسان منذ الصبا إلى الكهولة، بدأت بأسلوب قصر (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو)، واستعمال (إنما) هنا جاء ملائمًا لسياق الحديث عن حقيقة غير غريبة ومعاني مألوفة؛ فالحياة لهو ولعب، ولما جاء السياق تحذير وتهديد ناسب استعمال النفي والاستثناء:(وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع الغرور): " المعاني التي تدخل عليها (إنما) معان

مأنوسة قريبة من النفوس، فلا تدخل على الحقائق الغريبة والأفكار البعيدة، هذا هو الأصل فيها، بخلاف (ما) و (إلا) التي تسمع لها قعقعة وتجد لها حدة؛ ولذلك لا تصاغ بها إلا المعاني النافرة والحقائق النادرة التي من شأن النفوس أن تنكرها وتقيم دونها الأسوار". (أبو موسى،١٤٣٥، ص١٧١).

وقد قدم اللهو على اللعب في سورتي الأعراف والعنكبوت، في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾[الأعراف:٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾[العنكبوت:٦٤]، ويلحظ أن الآيتين جاءتا في سياق الحديث عن يوم القيامة ومواقف الآخرة، ففي سورة الأعراف الحديث عن الحوار الذي يدور بين أهل الجنة وأهل النار، ذلك أن أهل النار إذا دعوا إلى عبادة الله في الدنيا سخروا، يقول الرازي: " ثم إنه – تعالى – وصف هؤلاء الكفار بأنهم اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، وفيه وجهان: الوجه الأول: أن الذين اعتقدوا فيه أنه دينهم تلاعبوا به وما كانوا فيه مجدين، والوجه الثاني: أنهم اتخذوا اللهو واللعب دينًا لأنفسهم ". (الرازي، ١٤٢٥، ١٤/ ٧٧)، أما في سورة العنكبوت فالحديث عن أهوال يوم القيامة: ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٥﴾[العنكبوت:٥٥]

وذكر اسم الإشارة (وما هذه الحياة الدنيا) زيادة في تحقير الدنيا في موقف من مواقف القيامة، مما يزيدهم حسرة وندامة، وتقديم اللهو على اللعب؛ لأن اللهو فيه إشارة إلى انشغالهم عن هذا اليوم العظيم بأمور لا فائدة منها.

المطلب الثاني: الحياة غرور

جاء التحذير من الدنيا في كونها غرورًا، والغرور: " كل ما يغرك من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فسّر بالشيطان، وبالدنيا؛ لأنها تغر وتمر، وأما الشيطان

فإنه أقوى الغارين وأخبثهم " (الفيروزآبادي، د.ت، ٤/ ١٢٩).

قال تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾[لقمان:٣٣]

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾[فاطر:٥]

اتفقت الآيتان في الأسلوب الإنشائي (النداء)، والخطاب فيهما موجه للناس، وبتأمل الآية في سورة لقمان يلحظ في التركيب: (اتقوا ربكم واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا) أن الأساليب الإنشائية: (اتقوا)، (اخشوا) أعقبت أسلوب النداء، ولم يرد ذلك في سورة فاطر؛ لأن الآية في سورة لقمان سبقت بالحديث عن يوم القيامة (وما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير)، وأعقبها أيضًا بقوله تعالى: (إن الله عنده علم الساعة) فناسب مقام التذكير بأهوال يوم القيامة الأمر بالتقوى والخشية، بغرض النصح والإرشاد والتوجيه، " وذكر الوالد والولد هنا لأنهما أشد محبة وحمية من غيرهما". (ابن عاشور، د. ت، ٢١ / ١٩٣)، وتقديم ذكر الوالد على الولد؛ لأنه أشد شفقة على ابنه.

أما سورة فاطر فقد جاءت هذه الآية وعظًا للمكذبين بعد إيضاح الدليل على صحة قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ﴾[فاطر:٤] ، ولم يقتضِ المقام هنا التذكير بأهوال يوم القيامة، فجاءت في أسلوب خبري مؤكد ﴿ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾؛ للتأكيد على صدق الرسول الكريم – عليه أفضل الصلاة والتسليم– والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله رب العامين، أسبغ علينا نعمه ظاهرة و باطنة، فأوجب علينا شكره بجعلها مطية لعبادته، لا متعة في الدنيا وغرورًا.

وبعد الانتهاء من هذا البحث في متشابه النظم في التحذير من الدنيا وعدم الاغترار بها، والوقوف على روعة التعبير فيها وجمال التركيب المعجز، خرجت ببعض النتائج المتعلقة بهذا الموضوع، ومن أهمها ما يأتي:

١. أن متشابه النظم وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وبسببه تعذر على البشر الإتيان بمثله، فتصريف القول في موضوع واحد لا يقدر عليه إلا من أنزل هذا القرآن وتكلم به، ولم يكن هذا التصريف مقصودًا لذاته، بل جاء متوافقًا مع مقامه، ومع الغرض الذي سيق له.

٢. أن ورود آيات كثيرة في التحذير من الدنيا والاغترار بها دلالة على أهمية هذا الموضوع، ليكون المؤمن على بينة منه، وعلى حذر من الركون إلى الدنيا والاغترار بها، ومن هنا جاء بيان ذلك بآيات متعددة، وبأساليب متنوعة، ومن هنا تتجلى أهمية هذا الموضوع.

٣. ارتباط تركيب الآيات المتشابهة في التحذير من الدنيا وعدم الاغترار بها ارتباطًا وثيقًا بالسياق الذي وردت فيه. فجاءت أساليب كل آية متوافقة مع غرضها، محققة الغرض التي سيقت من أجله.

٤. وفرة استخدام أسلوب القصر في الآيات المتشابهة في التحذير من الدنيا، وقد جاء لتنبيه المخاطب على حقيقة الدنيا؛ وذلك لما يتميز به أسلوب القصر؛ لاشتماله على النفي والإثبات، وذلك متوافق مع طبيعة الحديث عن الدينا، وبيان حقيقتها..

٥. تنوعت طرق القصر في آيات الدراسة، وقد جاء كل طريق متوافقًا مع الغرض المراد منه تحقيقه، فلكل طريق مقامه، الذي يختلف فيه ويتميز به عن

الطريق الآخر، ولذا كثر القصر بطريق النفي والاستثناء؛ لما يتميز به هذا الطريق في الدلالة على القصر، وفي المقامات التي يأتي فيها، والحديث عن حقيقة الدنيا والتحذير من الاغترار بها يستلزم هذا الطريق.

٦. مراعاة حال المخاطب في استعمال طرق القصر (إنما) و(النفي والاستثناء)، حيث استعملت (إنما) في سياق الحديث عن المخاطب غير المنكر، أما (النفي والاستثناء) استعملت مع المخاطب الجاهل بالحكم، أو الذي ينزل منزلته.

٧. في تنوع الأساليب البلاغية في شواهد الدراسة دلالة على أن هذه الأساليب -على أهميتها- لم تكن مقصودة لذاتها، بل كانت وسيلة لإظهار مقاصد القرآن الكبرى في مخاطبة الناس جميعًا باختلاف أحوالهم، وتعدد مقاماتهم، فجاءت كل آية في مقامها اللائق بها، لتحقيق الغرض المرجو منها.

وأدعو في خاتمة البحث المختصين بالدراسات القرآنية إلى الالتفات إلى موضوع متشابه النظم؛ لأهميته، خاصة فيما يتعلق بالجانب التطبيقي منه، فهي الثمرة الحقيقة لورود الأساليب البلاغية المتعددة، التي تتنوع وتتعدد باختلاف المقامات والغايات، وثمة كثير من الموضوعات في القرآن الكريم بحاجة إلى دراسة متشابه النظم فيها، كالحديث عن الظواهر الكونية: كالسحب والجبال، وغيرهما، وكالحديث عن مواقف المؤمنين، وكذلك الكافرين، وسيظل القرآن معجزًا، ولن نحيط بوجوه إعجازه، ولكنها دعوة إلى التأمل والبحث الجاد.

والحمد لله رب العالمين أولًا وأخرًا

ثبت المصادر و المراجع

- القرآن الكريم
- ابن عاشور، محمد الطاهر.(د. ت) التحرير والتنوير، د. ط، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع.
- ابن عطية، محمد عبدالحق المحرر.(١٤٢٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،، ط ١، بيروت، دار ابن حزم.
- ابن منظور،محمد بن مكرم بن علي الأنصاري(١٤١٩) لسان العرب، تحقيق: أمين عبدالوهاب و محمد العبيدي، ط ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٩هـ.
- أبو موسى، محمد محمد. (١٤٣٥) دلالات التراكيب، ط ٥، القاهرة، مكتبة وهبة.
- الإسكافي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله.(١٤٢٢) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط ١، بيروت، دار المعرفة.
- الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن.(١٤٢٤) دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، ط٥، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- الدامغاني، أبو عبدالله الحسين بن محمد.(١٤٢٤) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تحقيق: عربي عبدالحميد علي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الرازي، محمد بن عمر الملقب بفخر الدين.(١٤٢٥) التفسير الكبير، منشورات محمد علي بيضون، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله. (١٤١٩) – البرهان في علوم القرآن،، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: ٢، بيروت، المكتبة العصرية
- السيوطي، أبو الفضل جلال الدين.(١٤١٥)، الإتقان في علوم القرآن، ط:٣، بيروت، دار الكتب العلمية،..
- صافي محمود. (١٤٢٧) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ط:١، دمشق، دار الرشيد.
- الصالح، د. حسين حامد. (١٤٢٦) التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية، ط: ١، بيروت، دار ابن حزم.
- الصامل، د. محمد بن علي.(١٤٢٢) من بلاغة المتشابه اللفظي، ط ١، الرياض، دار إشبيليا للنشر والتوزيع.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير.(١٤١٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. بشار معروف وعصام الحرستاني ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- العمادي، أبو السعود محمد.(١٤١٤) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب.(د.ت) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار د.ط ،بيروت، المكتبة العلمية.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب.(١٤٢٩) القاموس المحيط،، تحقيق: أنس الشافي وزكريا أحمد، د.ط، القاهرة، دار الحديث.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد.(١٤٢٥) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط١، بيروت، المكتبة العصرية.

- الكرماني، محمود بن حمزة. (١٤٠٦)ـ البرهان في توجيه متشابه القرآن،، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني.(١٤٣٢) الكليات،، تحقيق: د. عدنان درويش و محمد المصري، ط ٢، دمشق، مؤسسة الرسالة.
- المجيد، د. عبدالمجيد ياسين. (١٤٢٦) المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم، ط١، بيروت، دار ابن حزم.

***